

ونحن نجد هذا النزوع عند سيديو وهيارت ودوزي ومارجوليت ونيكلسون وهامر برجستال وفوستنفلد وكولدزير وبروكلمان ، الذين يعتبرون مصدراً هاماً لجرجي زيدان ومعاصريه ، إذ يعترف السباعي بيومي :

« ولم يزل تاريخ الأدب على تلك الحال من النقص في بعض وجوهه ، وانتشاره على غير شخصية قائمة في بطون الكتب ، إلى أن هب المستشرقون يضعون أسسه ويرفعون قواعده ، وتوافروا على أبحاثه يثبتون أصولها ويفرعون الكثير من فروعها ، حتى أوصلوه إلى صورة متميزة قائمة ، فإذا هو كما نراه الآن علم ذو نظام وترتيب وتقسيم وتبويب ، وكان لهم في ذلك طريقان ، إما دراسته موضوعاً موضوعاً يتنقلون بكل موضوع من عصر إلى عصر حتى يستتم أطواره ويستكمل ألوانه وهذا على غنائه قليل ، وإما دراسته عصباً عصباً يتناولون في كل عصر موضوعات الأدب واحداً واحداً كما هي الحال في التاريخ السياسي العام وهذا هو المتبع والكثير»⁽⁴¹⁾ .

أما المرحلة الثانية التي يتخلص فيها المؤرخ العربي من بعض تقاليد المستشرقين فهو يستعيز عنها بالوضعيين ، الذين سطع نجمهم في فرنسا أمثال سانت بوف وتين وبرونتير . وقد كان شوقي ضيف على رأس هذه الدعوة لمدة طويلة ، وذلك بتقديمه لهذه الإتجاهات :

« وكان من آثار سيطرة العلوم الطبيعية والتجريبية في القرن الماضي على العقول الغربية أن نادى بعض مؤرخي الأدب هناك بوجود تطبيق مناهجها وقواعدها على الدراسات الأدبية ، وحاول نفر منهم أن يضع للأدب قوانين كقوانين الطبيعة ، وتقدم سانت بيف (Sainte Beuve) يدعو إلى العناية بشخصيات الأدياء وتعقب حياتهم المادية والمعنوية ومؤثراتها ، حتى نتبين ما يتفرد به الأديب وما يشترك فيه مع سواه من الأدياء ، فإذا تبينا الطرفين أمكن أن نضع الأدياء في فصائل وأسر على نحو ما يصنع علماء النبات إذ يرتبونه في أنواع وفصائل نباتية

(41) السباعي بيومي ، السابق ، ص 5 .